

لرعاية السجناء



جمعية التكافل

الرسول
القدوس

الشيخ : مساعد محمد مندني

الدفاع عن الرسول

المقدمة :

إن شخصية الرسول محمد ﷺ أعظم شخصية بشرية على الإطلاق، كيف لا وهو ربيب الخالق كما وضح ذلك النبي ﷺ بنفسه قائلا: " أدبني ربي فأحسن تأديبي ".

والصفات الأخلاقية العظيمة التي يتصف بها الرسول الأعظم محمد ﷺ ربما تكون الأكثر تميزا في شخصيته النموذجية الجامعة لكل ما هو أفضل وأعظم في جميع الجوانب، ولهذا مدحه الخالق في كتابه العزيز (.. **وانك لعلى خلق عظيم**) ، والأمر العظيم في تلك الآية الشريفة، وهذا التمجيد من الخالق العلي العظيم لرسوله الكريم في الجانب الأخلاقي بأنه تقييم حسب الجودة والمعايير الأخلاقية الإلهية وليس البشرية!!

معجزة المصطفى الخالدة :

الخلق العظيم الراقي زرع الفضائل لا يتعلق بدين أو شعب أو عرق أو قبيلة أو منطقة أو بزمان أو مكان؛ بل هي رسالة لجميع البشر من جميع الأديان والعروق والأصول وفي كل مكان وزمان، والأخلاق الفاضلة الكاملة حسب الخالق تعني الكمال في جميع الجوانب الدينية والقيادية والسياسية والإدارية..

كما إن الأخلاق الحميدة والتعامل الإنساني النبيل بوابة لبناء العلاقة بين أبناء البشر والافتتاح على الجميع، كما أنها أهم عنصر جذب وأقوى سلاح للتأثير، سلاح لا يضعف مع مرور الأيام بل على العكس يزداد قوة ورسوخا، ولهذا سلك النبي محمد المنهج الأخلاقي الإنساني الساحر في سبيل نشر وتبليغ رسالته «الدين الإسلامي».

وتعتبر الأخلاق المحمدية السامية بمثابة المعجزة الحقيقية للنبي إذ إن الرسول محمد ﷺ لم يعتمد على بث رسالته وجذب الناس والتأثير عليهم وترويض أشرس الشعوب التي عاصرها، على ما هو خارق للعادة أي المعجز المادي، «كما حدث مع أغلب الأنبياء والرسول» أو من خلال القوة والمال والسلطان «كما حدث لبعض الأنبياء» بل اعتمد على أخلاقه وتعاملاته الإنسانية الوجدانية التي لا تقل إعجازا عن المعجز المادية عبر: المحبة والتسامح وسعة الصدر والحلم والتواضع

والأمانة والصدق والرحمة والرافة والكرم، وعدم رد الإساءة لكل من ساء إليه من القريبين جدا قبل البعيدين والأعداء...

بل كان رده العفو والعفو والعفو إلى درجة انه قال «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»... فالأخلاق المحمدية هي النور المشرق الساحر المؤثر في الشخصيات والمجتمعات للإعجاب بشخصية النبي محمد ﷺ والذوبان فيها، كما انها اكبر عامل مؤثر للإيمان بأفكاره واعتناق الإسلام.

فن تعامله صلى الله عليه وسلم مع الآخرين : أوصى باليتيم والأرملة والمسكين وابن السبيل :

لقد ضرب لنا معلم البشرية وخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة وبيّن لنا أفضل السبل في فن التعامل مع اليتيم فما هو عليه الصلاة والسلام يمسح على رأس اليتيم ويقول: «من مسح على رأس يتيم لم يمسه إلا الله كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى. وها هو كذلك عليه الصلاة والسلام يقبل اليتيم ويدعو له ويحتضنه ويسأل عنه وعن احواله فهو صاحب القلب الرحيم وصانع المواقف العظيمة فقد اشتكى إليه رجل قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

أرأيت يا أخي إنها التربية والتعليم منه عليه الصلاة والسلام انه مهما تحدث الانسان عن تلك الطرق والمثل في كيفية فن التعامل مع اليتيم فلا بد له من ان يربط ذلك بالرعيّل الأول من قادة وعلماء وصلحاء وكيف كانت حياتهم مع اليتيم انك ايها الأخ الكريم لتعلم حق المعرفة ما حباه الله تعالى لليتيم من المكانة الرفيعة والشأن العظيم مسطرة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فإذا علمت ذلك فاعلم أن هناك جُملة آداب وطرق يعامل بها اليتيم لا بد من معرفتها والوقوف عندها.

- 1 - أن أول هذه الفنون في التعامل مع اليتيم زرع الحب والثقة في النفس فان اعطاء الثقة بالنفس يعطي اليتيم الانطلاق والتجديد فمثلاً اعطاؤه الفرصة في اثبات وجوده والمحاولة في ايجاد الحلول المناسبة لكثير من المسائل بل تكرار المحاولة حتى الوصول الى الحل المناسب الصحيح.
- 2 - التربية الجادة والهادفة التي تعطي ذلك اليتيم الجرعة الايمانية الصالحة وذلك من خلال طرح بعض القصص القرآنية لبيان عظمة الله تعالى وغرس العقيدة الصحيحة لديه ويأتي بعد ذلك دور القصة النبوية ليخرج بذلك الى القدوة الصالحة والعمل الجاد المثمر ولا ننسى ان النفس البشرية

- لديها الاستعداد والحب الفطري لسماع القصة وهذا مما يجعل الطفل خاصة يتربى تربية جادة ومثمرة بإذن الله تعالى.
- 3 -** اعلم ان ادخال البهجة والسرور على اليتيم من اعظم الطاعات والقربات التي يتقرب بها العبد لله سبحانه وتعالى فقد قال عليه الصلاة والسلام «لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى اخاك بوجه طليق» فهذا هو منهجه عليه الصلاة والسلام يلاطف الصغير والكبير، بل يمازحهما حتى انه عليه الصلاة والسلام يلاطف ذلك الطفل الصغير ويقول له «يا أبا عمير ما فعل النغير».
- 4 -** ورابع هذه الآداب وأهمها لين الكلام وحسنه مع اليتيم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «والكلمة الطيبة صدقة» فكم كلمة طيبة ادخلت السرور على انسان وكم من كلمة ساقطة عملت بصاحبها فعل السهام.
- 5 -** الثناء على الانسان وخاصة بعد انجاز عمل ما، ودفع الحوافز له من أجدى السبل في رفع الروح المعنوية لديه وحثه على الاستمرار والمواصلة للوصول الى معالي الأمور بإذن الله تعالى.
- 6 -** ان التواضع ولين الجانب من الآداب المهمة التي ينبغي على الانسان ان يتحلى بها ولذلك قال تعالى «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» فنجد ان ربنا تبارك وتعالى يبين لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كسب بتواضعه ولين جانبه قلوب الناس وخالط بشاشة قلوب جميع طبقات المجتمع فما هو عليه الصلاة والسلام يقول: «من كان هيناً ليناً سهلاً حرّمه الله على النار».
- 7 -** لا بد للانسان من الزلل والخطأ، وهنا يأتي دور عدم التقريع المباشر، فعلى الانسان ان يلجأ الى التوجيه والارشاد بطرق غير مباشرة فلها من التأثير والتغيير في النفس والسلوك ما الله به عليم.

فها هو عليه الصلاة والسلام يرشدنا الى افضل السبل في التوجيه والارشاد، فقد كان عليه الصلاة والسلام اذا رأى خطأ من بعض اصحابه لم يعاقب مباشرة، بل تجده عليه الصلاة والسلام يقول «ما بال أقوام» أو ما بال أحدكم» فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال: «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه؟ أيجب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه فإن لم يجد فليقل هكذا» ووصف القاسم فتقل في ثوبه ثم مسح بعضه على بعض.

أفضل الخلق (منقذ البشرية) :

"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"

أي منقذ للبشرية مثله صلى الله عليه وسلم ، أرسل إلى البشرية كافة، وجاء بمنهج شامل كامل للحياة والأحياء إلى أن تقوم الساعة ... أحب للجميع الخير ، تألف لأسلوبه القلوب المقفرة ، وتحبه النفوس الجامحة بعد أن تعرفه ومنهجه ، بلغ من حرصه على هداية الناس- كل الناس - أن يهون عليه رب العزة بقوله { فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ } في قوله تعالى { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } .

لشدة حرصه على هدايتهم ، وجموح بعضهم عن الهدى ؛ فيتألم لذلك ؛ وليس تألمه لعرض من الدنيا فات عليه ، أو سلعة تجارية راجت عنده ، لم يرد من أحد أجرا على بذل الهدى له { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } (86) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [2] } (88) كان الرجل يسمع عنه فيكرهه أشد الكره ، بسبب الدعاية المضادة لدعوته من مغرض ؛ فإذا رآه أحبه أشد الحب ؛ لما يلمسه منه من حسن استقبال ، وحلاوة أسلوب ، وعلو خلق ، وطيب تعامل ومنهج سامٍ كامل شامل صالح لكل زمان ومكان.

طالما أساء إليه الآخرون فيعفو عنهم ويصفح ؛ مهما كانت الإساءة بالغة ؛ كذبه قومه وحاربوه وقتلوا من أقربائه وأصحابه من هم في السويداء من قلبه وفي أعلى الصفوة في الأمة ؛ ولما انتصر عليهم وأضحوا أسرى بين يديه قال لهم {ماذا ترون أني فاعل بكم}؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم! قال لهم: {أذهبوا فأنتم الطلقاء} [3].]

وكان أعتى الرجال يحاربه أشد الحرب وأقساها فإذا أتى إليه تائبا مسلما فرح بمجيئه ، وعفا عنه ، وحلم عليه . وحسب تتبع الجامحين عن الهدى في بداية الأمر فقد كانت أسباب جموحهم لا تخرج عن كونها ناتجة عن تقليد للكبراء ، أو نظرة سطحية غير متعمقة ، أو كبر وحسد مع وضوح الحق والحقيقة وجلانها لكل متأمل منصف.

جاء من عند الله بميزان تفاضل لكل البشر ؛ يستطيع الوصول إليه كل أحد ، ومن أي مكان كان -ميزان التقوى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (13) [4]] وذابت تجاهه الموازين الجائرة القاصرة المتعنصرة ، بسط الخير والهدى مع أتباعه بأقل الخسائر ، وأقصر الأزمنة ، وتحولت البلاد المستقبلية إلى متبعة ومناصرة ، واستجابت بلاد شاسعة بأهلها له ، حبا واقتناعا بداعي القدوة في أتباعه ؛ الذين صاغتهم تربيته المتسلسلة عظيما عن عظيم. جاء بدين صالح متوافق مع الفطرة ؛ لا يصطدم معها البتة ، أرحم الفاتحين بمن فتح أرضهم ، ففتحت نفوسهم تبعا .

من دخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم انصهر بأمته ، وأضحى مثلهم ؛ له ما لهم وعليه ما عليهم . يدعو الناس بغية سعادة يجنونها في الدنيا والآخرة ، لم يفرق بين جنس وجنس ، ولا بلد دون بلد ، بل فتح الباب للجميع بدون استثناء ، ولم يكن ذلك لغرض أدنى يسعى له ، لحق بالرفيق الأعلى وهو مدين ، لم يدع لأقربائه عرضاً دنيوياً ، ولم يورثهم مالا ، بل ورث العلم والمعرفة والدعوة لإنارة القلوب والنفوس ؛ للسير إلى الله بوعي وبصيرة ؛ لينتفع الجميع نفعاً يخصهم ، لم يرد منهم جزاء ولا شكورا .

عدل في عطائه وقضائه ؛ لم يظلم أحداً ، ولم يغضب لنفسه قط_ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتصر لها . أشجع الناس ؛ يلتأذ أعظم الشجعان في حماه إذا حمى الوطيس ، قاد الجيوش بحنكة ودراية أذهلت القواد الأفذاذ ، أعظم أب عرفته الذرية بنين وبنات ، وأعظم زوج شهد له به الزوجات ، وأعظم مرب ومصلح في العالمين عرف ذلك المختصون مربين ومربيات.

رأس الدولة فلم تعرف الدنيا أكمل وأتم وأعدل منه. وقاد الجيوش فلم يوازي قيادته فيها أحد أبداً ولم ترى بطلاً شجاعاً حكيماً قبله ولا بعده مثله ، انبرى للعلم والتربية فلم يصل إلى أسلوب تعليمه وتربيته مرب مهما بلغ . فتح الباب على مصراعيه ؛ يري الناس الصراط السوي ، ويقودهم إلى خالقهم وباريهم بأمانة ودراية ووعي ، اعتنى بالطفولة والشبيبة حتى أحبوه أشد الحب وأعظمه ؛ فاق حب الآباء والأمهات؛ تسابقوا في تقديم أرواحهم الغضة في سبيل الله ضد من يكره الخير والحق والبر الذي جاء به حبا لله ورسوله وكان الشاعر يعي ما قاله يوم أن قال يصفه عليه الصلاة والسلام :

وإذا رحمت فانت أم أو أب *** هذان في الدنيا هم الرحماء

جاء بكتاب من عند الله سبحانه ؛ سعادة البشرية بين دفتيه ؛ في أي عصر ومصر؛ قعد لكل جانب من جوانب الحياة_ إن لم يتعمق في التفاصيل والدقائق ؛كتقسيم المال الموروث ، وعرض الحقائق المهمة بوسائل وأساليب مضاعفة ومتنوعة حتى تتجسد في النفس صورة محسوسة كاملة الواضوح.

تعامل مع النفوس بمنهج الله بعلم ودراية مراعي طبيعتها_ كما هي_ ؛ لم يرفعها إلى مصاف الذي لا يخطئ_ قط_ فتح باب التوبة في الليل ليتوب مساء النهار ، وفي النهار ليتوب مساء الليل ؛ - ليس حسب - بل يفرح الله بتوبة عبده إذا هو تاب ، ومع ذلك أحاط النفس بسياج متين يحفظها من الانحراف عن الصراط ، لتبقى بيضاء نقية ، سالمة قوية ؛ بعيدة عن الخطأ والانحراف الذي يسودها ويشقيها.

جاهد بكل أنواع الجهاد من أجل إسعاد الجميع دنيا وأخرى ، وفتح باب الثواب والجزاء للمجتهد إلى الدرجة التي تحول الأعمال جميعها إلى عبادة إذا أستحضرت النية .

أعلى شأن حرمة الدم والمال والعرض في خطبة الحج تتويجا لورودها كثيرا في القرآن والسنة ؛ فعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه ذكر النبي قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال {أي يوم هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فأى شهر هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس بذى الحجة قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ليليلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه } [5]

وعنه في رواية أخرى وفيها زيادة تدل على كرمه وتعظيمه للشعائر التي يدعو إليها تطبيقا عمليا لما جاء به قال : لما كان ذلك اليوم قعد على بعيره وأخذ إنسان بخطامه فقال أتدرون أي يوم هذا قالوا الله ورسوله أعلم حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه فقال أليس بيوم النحر قلنا بلى يا رسول الله قال فأى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال أليس بذى الحجة قلنا بلى يا رسول الله قال فأى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال أليس بالبلدة قلنا بلى يا رسول الله قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا فليليلغ الشاهد الغائب قال ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما وإلى جزيعة من الغنم فقسما بيننا } [6]

وحدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فذكر الحديث وقال فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فركب حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس فقال إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلا وإن كل شيء من أهل الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه دماءنا دم بن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم مسؤولين عني ما أنتم قائلون فقالوا نشهد إنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكسها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد قال أبو بكر قد بينت في كتاب النكاح أن قوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه إنما أراد وطىء الفراش بالأقدام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلس على تكرمته إلا بأذنه وفراش الرجل تكرمته ولم يرد ما يتوهمه الجهال إنما أراد وطأ الفروج } [7]

أبطل أمورا كانت في الجاهلية ؛ فبدأ بنفسه وبمن هم أقرب إليه في تطبيق ذلك ؛ وهو دليل على مساواته بين الجميع وعدم مراعاة نفسه وأقربائه في أحلك الظروف ؛ كما قدم أقرب الناس إليه فيما يكون طريقا إلى الموت ببدر والأحزاب

وسواها ويكون في مواجهة الخطر ليس بينه وبين العدو أحد كيوم حنين ؛ ما يبرهن أحقية ما جاء به من عند الله ، ووثوقه منه ، ومن وعد الله له بالنصر والتأييد لا محالة . مع تواضعه الجم وإعراضه عن زخرف الدنيا صلى الله عليه وسلم وقد عرضت بين يديه تخييرا فأبى ، واكتفى من الدنيا بما يسد رمقه ومن يعول . ولا يعارض حثه في المنهج الذي جاء به من عند الله على استغلال الأرض وعمارتها بحيث لا تشغل عن الآخرة وقد قبل يدا باتت كالة من العمل ووعد بأن يمسي صاحبها مغفورا له .

أوصى باليتيم والأرملة والفقير والمسكين وابن السبيل ؛ وفرض لهم من المال فرضا على الأغنياء بحيث يأثم من لم يسق ذلك المال المفروض في الزكاة لهم .

وطد العلاقات الخيرة بينه وبين الناس فاتسعت حتى طبقت الأرض لمتانتها ، وسلامتها مما يعرقلها ؛ إنها ربانية جاءت من عليم خبير سبحانه وتعالى .

صان حق الأسير وحث على إطعامه ومراعاة حقوقه بنص القرآن ، وحرّم قتل المعاهد ، بل غير المسلمين على الإطلاق ما لم يكن محاربا .

وحث على حفظ العهود والعقود والمواعيد والمواثيق ورتب على التفريط فيها عقوبات . فرض على نفسه ومن تبعه هداية الآخرين . وحث على حب الهدى لهم والفرح عند تحقق هدايتهم . بل حث على حب الخير للآخرين مثل حب الخير للنفس ، فأى تقعيد وتأسيس لتمتين العلاقات الخيرة أكثر من هذا ؟

ومزاياه وشمائله وسجياه من الكثرة ما لا يحصى ولو رؤوس أقلام ؛ لأنها مضمون القرآن بكامله والسنة بكاملها فخلقه القرآن ياتمر بأوامره ويجتنب نواهيه

فأي المصلحين وأي الأمم جاء بهذا وطبقه عمليا حقيقة . فمن يكره محمدا صلى الله عليه وسلم غير جاهل بحقه ، أو حاقد عليه بدون مبرر .

صفات الرسول صلى الله عليه وسلم :

اسمه ونسبه:

محمد(ص) بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

أمه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (تجتمع هي وعبدالله في كلاب).

ولادته: ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) عام الفيل يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول(571) ميلادية

اخلاقه: كان(ص)أعبد الناس, وأزهد الناس, لايجد في أكثر الأوقات ما يأكل , فراشه محشوا ليفاً , أحلم الناس يحب العفو والستر ويأمر بهما, أجود الناس, وأشجع الناس, متواضعاً في شرفه وعلومه, ما دعاه أحد إلا قال: لبيك.

يعفو ويصفح ولا يجزي بالسيئة السيئة, كان أبعد الناس عن الأثم, وقطيعة الرحم , ما ضرب امرأة قط , ولا ضرب خادماً .

حين نتصفح سيرة العظماء الذين شاد بذكرهم التاريخ نجد أن محمد(ص) أرفعهم ذكراً وأبقاهم أثراً فما عهد التاريخ رجلاً من عظمائه قد أهاب بأمة كالعرب ذات بأس وصراحة وحمية وإباء وذات خيال وتصور يدعوها أن تخلع نفسها مما هي فيه وأن تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقاً وان تعطيه مع ذلك محض ضمائرهما وهم لا يرون من أمره ذلك إلا قلة وهواناً واستخفافاً وان كانوا يعرفونه من قبل بحسن الخلق وصفاء الذمة وطهارة الضمير ويعرفون انه لا يريد ملكاً ولا يبغى شيئاً من عرض الدنيا ومع هذا قد اجتمع له ما أراد وأطاعته الامة العربية وهي صاغرة للحق ويذلت له نصرها بعد التخذيل عنه وتعطفت عليه بقلوبها الجامحة وهو الراغب عن سنتهم والمسفه لأحلامهم والطاعن على شرائعهم.

لقد جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) والعرب قد نزلوا إلى هاوية الأنحلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم, فكانوا في جهل مطبق بمبادئ السياسة والحياة الاجتماعية , ولم يكن لهم فن يذكر أو صناعة تنتشر .

كانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفر لشن الغارة على جاريتها, فلم يكن من المعقول من هذه البيئة ان تتمخض عن هذا العظيم الذي كون أمة وأسس دولة وأقام الدين.

ان العظمة الحقيقية هي التي تتجسد بالشخصية القوية الثابتة التي لها في قلوب أهل جيلها احتراماً وهيبة لأصحابها لتخلق في نفوسهم اساساً جديداً لتقبل عقيدته وآرائه لتبقى خالدة.

كان صاحب هذه الشخصية العظيمة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

احتمل اصحابه في مدى الثلاث عشرة سنة من بدء البعثة كثيراً من الشدائد .. فكانت كل قبيلة تعذب من دان منها بشتى انواع التعذيب , ومع هذا كان عدد اتباعه آخذاً في نماء وازدياد. فما سبب تهافتهم عليه واحتمال كل أذى في سبيله ؟..

إنها عظمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وشخصيته العظيمة التي ملكت قلوبهم ومشاعرهم فانصاعوا له حتى استطاع أن ينشئ جيلاً فتياً لن تستطع امة على مر التاريخ ان تنشئ جيلاً كالذي أنشأه محمد (صلى الله عليه وسلم) .. هكذا تجلت لي عظمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهكذا فهمتها.

في طاعته ومحبهه (ص):

ورد ان احد الصحابة كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يارسول الله ما بي وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الآخرة حيث لأراك هناك لأنني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين فلا أراك فنزلت هذه الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)-النساء-

ان محبة الله للعبد هي انعامه عليه بالغفران ودخول الجنان لأن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ولمن يبغض ولا يعطي المغفرة والجنة إلا لمن يحب اذاً.... من لم يتبع رسول الله فإنه لا يحب الله وبالتالي..... فالله تعالى لا يحبه ولا يغفر ذنوبه.

وعلامة المحبة أن يكون الله ورسوله أحب اليه من أي شيء

فمحبة النبي (ص) هي المنزلة العليا التي يتنافس فيها المؤمنون فعليها يحبون وعليها يموتون .

نتبع اوامره ونحب الآخرة ... وعلامة حب الآخرة ...بغض الدنيا ونرضى بالقليل منها ...ونحب الصالحين..قال صلى الله عليه وسلم جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها...) فإذا أحسن اليك شخص فأنت تحبه.... فكيف بأحسان النبي العظيم....الينا اخرجنا من.. الكفر..الى.. الايمان .. ومن ..الشقاء.. الى .. الهناء .. من الظلمات .. الى النور... ومن الجهل ..الى.. العلم.. فأى احسان أعظم وأجل من

احسانه وفضله.. لذا قال (ص) (لا يؤمن احدكم حتى يكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين).

امرأة من الانصار قتل أبوها.. وأخوها.. وزوجها يوم غزوة أحد فأخبروها بذلك قالت: ما فعل برسول الله قالو هو بحمد الله كما تحيين فقالت أروني إياه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلت (أي صغيرة) . في رواية اخرى ان اهل مكة لما ارادوا قتل زين بن الدثنة (رض) حين وقع اسيراً قالوا له.. ان صدقتنا نجوت من القتل.. أتحب ان محمداً الان عندنا مكانك نضرب عنقه وتقتله وأنك في أهلك ومع زوجتك.. فقال زيد(رض) والله ما أحب ان محمداً في مكانه في بيته تصيبه شوكة وإني لفي أهلي. قال ابو سفيان ما رأيت أحداً من الناس يحب أحد كحب أصحاب محمد . لذلك قال رسول الله (ص) اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقال (ص) لاتسبوا اصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه..... قال(ص) لا يبلغني احد من اصحابي عن احد شيئاً فاني احب ان اخرج اليهم وانا سليم الصدر) رواه ابو داود. هكذا أحبوا الرسول فأحبهم الله وكذا ليفهم العالم ان حبنا لرسول الله ليس كمثله شيئ.. وهو حب تربت نفوسنا وجبلت على حبه ترى هل يفهم العالم نوعية هذا الحب.

اشرف الخلق :

خص الله تعالى نبينا محمد (ص) بخصائص ومحامد جعلته أفضل الخلق على الاطلاق وارفعمهم درجة وأكرمهم عند الله وفضله على خاصته حتى قرن اسمه (ص) باسمه وذلك تشريفاً له .

لان الله اتاه الكمال في الخلق والاقوال والاعمال .

لان الله خصه بخمس اشياء لم يخص فيها نبي قبله (قوله ص- : اعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود...وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي.. وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً.... ونصرت بالرعب مسيرة شهر.. واعطيت الشفاعة) البخاري .

ولان الله اخذ وعداً من الانبياء كافة بأن يؤمنوا به وينصروه (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقرتم على ذلك اصري قالوا اقرنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين) .

ولان الله تعالى اثنى على خلقه (ص) بقوله (وانك لعلى خلق عظيم).

ولان الله تعالى اخبرنا انه تعالى وملائكته يصلون على النبي وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه وليس هناك شرف ورفعة فوق هذه .

ولان جميع الانبياء والرسل بشرى بنبوته سيدنا محمد (ص).

ولان بمبعثه (ص) انقطع الكهان واستراق السمع وقضي على الدجل والشعوذة .

ولان الله تعالى نزل القرآن عليه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب وحفظ الله القرآن من التبديل والتحريف (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ولان الله تعالى اقسام بحياة سيدنا محمد (ص) (لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون) .

ولان شريعته (ص) اكمل من جميع الشرائع عند مقارنتها مع اليهودية والمسيحية .

جاءت اليهودية بعقيدة التوحيد ولكن سرعان ما شوهتها الوثنية , وبعقيدة النبوات , وسرعان ما حيكت حولها قصص دست في التوراة , فجعلت من سيرة الانبياء سيرة لأقبح النماذج البشرية سلوكاً وسيرة , فلم تقدم اليهودية للبشرية أي لون من ألوان الحضارة , ولم يكن لها أثر في تقدم الفكر والاخلاق لاسيما انها كانت محصورة ببني اسرائيل , ولا يعتقد اليهود انها جاءت لتنتشر بين الناس او لتكون دعوة عامة .

اما المسيحية فقد جاءت بالاضافة الى ما جاء في اليهودية وتوراتها من عقيدة ونبوات بتعاليم خلقية لها صفة انسانية , وقد انتشرت في رقعة من الارض ممتدة بعض الامتداد ودانت بها بعض الشعوب , ولم تكشف فيها النظرة العامة الى الوجود.. الى الله.. والكون.. والانسان... كشفاً يرقى بالفكر الانساني وتصوراته الى درجة تناسب ما يصبو اليه البشر من الرقي العقلي , بل بقيت الحقيقة الالهية كما هي في اليهودية في العهد القديم , اضافة الى عقيدة التثليث التي طرأت عليها فشوهت حقيقة التوحيد وصفة التنزيه .

ولم تات المسيحية بتشريع جديد بل اقرت التشريع اليهودي ولذلك لم تقدم للبشرية الاخذة في الارتقاء والسانر نحو التعقيد ولم تحدد له معالم واضحة لتنظيمه الاجتماعي , واهدافاً لتطوره , بل اكتفت بالتوجيه الاخلاقي العام .

ان محمدا صلوات الله عليه يبقى وحده في الذروة العليا من البشرية كلها ما ضيها وحاضرها وآتيها , ومن تاريخ العرب الذين نشأ منهم وفي بيئتهم , فقد كان ولا يزال رسول الله وخاتم النبيين وحامل رسالة الانسانية الخالدة ابد الدهر .

الحقيقة الخالدة.. قالوا عن الرسول :

برنارد شو " : الكاتب والفيلسوف الأنكليزي الجريئ يقول:لقد وضعت دائماً دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي انه حائز اهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع ان يكون جذاباً لكل

جيل من الناس لا مشاحة في ان العالم يعلق قيمة كبيرة على نبؤات كبار الرجال ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى اوروبا غداً وقد بدأ يكون مقبولاً لديها اليوم.

د.ماركس دودز :

في كتابه(محمد وبوذا المسيح) اليس محمد نبياً على وجه من الوجوه. ثم أجاب قائلاً انه على اليقين لصاحب فضيلتين من ارفع فضائل الانبياء. فقد عرف حقيقة عن الله تعالى لم يعرفها الناس من حوله وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لاتقاوم لنشر تلك الحقيقة وانه لخليق في هذه الفضيلة ان يعلو على اوفر الانبياء شجاعة وبطولة بين بني اسرائيل لأنه جازف بحياته في سبيل الحق وصبر على الأنداز يوماً بعد يوم عدة سنين وقابل النفي والحرمان والضغينة وانه فقد مودة الاصحاب بغير مبالاة على الجملة قصارى ما يصبر عليه انسان دون الموت الذي نجا منه بالهجرة ودأب في هذا جميعه على بث رسالته غير قادر على اسكاته وعد ولا وعيد ولا اغراء. ولربما اهتدى الى التوحيد اناس آخرون بين عباد الأوثان الا ان رجلاً آخر لم يقم في العالم مثل ما أقام من ايمان بالوحدانية دائم مكين. وما اتيح له ذلك الا لمضء عزمه ان يحمل الآخرين على الأيمان فاذا سأل سائل مالذي دفع بمحمد الى اقناع غيره ! فلا مناص لنا ان نسلم انه هو العمق والقوة في ايمانه بصدق ما دعا اليه.

الحقيقة الخالدة التي يراها المنصف مسلماً كان او غير مسلم هي ان فتوح محمد(ص) فتوح ايمان وان قوة محمد(ص) قوة ايمان وانه مامن سمة لعمله اوضح من هذه السمة ولا من تعليل لها اصدق من هذا التعليل. لقد جاءه الاغراء الذي اشار اليه (ماركس) وهو داع مهدد في سر به وجاءه وهو عزيز الشأن بين المؤمنين بدعوته فما حفل بالاغراء وهو بعيد عن مقصده ولا حفل به وهو واصل اليه جاءه سيد قومه(عتبة بن ربيعة) ومحمد(ص) في بداية امره فقال له واعدأ ملاطفاً بعد ان اعياهم تخويفه متوعدين((يا بن اخي انك منأ حيث قد علمت ومن خيارنا نسباً وحسباً وانك قد آتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت احلامهم وعبثت آهتهم ودينهم وكفرت من مضي من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال محمد(ص) قل يا ابا الوليد فقال يا بن اخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع امراً دونك وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان الذي يأتيك رثياً من الجن لاتستطع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه فما زاد(ص) على ان اجابه بآيات من القرآن الكريم ثم تركه يعود كما اتى.ثم ادرك النبي(ص) غاية ما يسعى اليه فلم يدخل له المال ولا الملك في حسابه ولم يكن النعيم المستطاع افعل في اغرائه من النعيم الموعود بل كان النعيم المستطاع فوق ما حلم به عتبة بن ربيعة وكان رسول الله ازهد فيه من زهده في النعيم الموعود. فلم كل هذا.. ولم هذا الجهاد.. ولم هذا العناء.. وفيه هذا الصبر.. ان لم تكن في سبيل الايمان .

واي نبي له من الايمان شفاعة اكبر من هذه الشفاعة ورسالة اكبر من هذه الرسالة واي انسان يعرف تعظيم الانبياء ان لم تظفر نبوة محمد عنده بالتعظيم.

فالتاريخ هو فيصل التفرقة بين محمد واعدائه فان حكمه انفذ من حكم الاعداء والاصدقاء وانفذ من حكم المشركين والمؤمنين لأنه حكم الله تعالى. وقد حكم له انه كان صاحب دين يبقى ما بقيت في الارض اديان.

توماس ارنولد : يقول..قد افلح محمد في ان يدخل في مجتمع عصره الذي كان مليئاً بالفوضى وسوء النظام شعوراً بالوحدة القومية وادراكاً للحقوق والواجبات كل نحو الاخر على نحو لم يعرفه العرب من قبل.

تولستوي :مما لا ريب فيه ان النبي محمداً من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية ويكفيه فخراً انه هدى امة برمتها الى نور الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتفضل عيشة الزهد وقد منعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وقد فتح لها طريق الرقي والمدنية وهو **عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتي قوة.**

ر. ف. بودلي :هل كان في مقدور رجل ما لم يكن مهماً ان يأتي الى الوجود بمثل ما اتى به محمد من الاخوة العالمية. وهلا تنعكس سخرية معادي الاسلام عليهم ان عدد معتنقي الاسلام ليزيد اليوم بمقدار ربع مليون في كل عام وهذا دون ضغط او ارهاب لنشر رسالة الاسلام. ومن سوء حظ كثير من كتاب سيرة محمد انهم يصدرون احكامهم دون تردد ودون تقدير للظروف. ان اغلبهم لا يعرفون شيئاً عن العرب.

كارليل: لقد اصبح من اكبر العار على أي فرد متدين من أبناء هذاالعصر ان يصغي لما يزعم من ان دين الاسلام كذب وان محمد خذاع مزور وأن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنتي عشرة قرناً لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا.هل رأيت قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجيباً. والله ان الرجل الكاذب لايقدر ان يبني بيتاً من الاجر إذا لم يكن عالماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي بينيه ببيت وانما هو تل من الانقاض.

لامرتين : ان محمداً فوق البشر ودون الآلهة فهو رسول الله.

هذه هي حقيقة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم... الحقيقة الخالدة الناصعة البياض.. المحبة للخير.. الداعية للسلام.. المناهضة للجهل والكذب.. الداعية للحرية والتوحيد.. هكذا نفهم الرسول(ص) وهكذا فهمه ويفهمه ذوو الالباب...

اتفقت الاديان السماوية كلها على الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر . وقد نقلها اهل الاديان التي كانت قبل الاسلام بما ظهر على ايدي الرسل السابقين من المعجزات تناسب أوقاتها ثم انقضت اثارها بأنقضاء أزمانها..ولما جاء الاسلام نوه بالعقل وأحله مكانة علمية وبيّن أنه نعمة كبرى وانه لا بدّ من استخدامه .

يقول تعالى(إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

(لا إكراه في الدين)

(لا تكلف نفس إلا وسعها)

واضح أن الكون هو موضع النظر والأعتبار ويستصرخ العقل والفهم والتفكير والتدبر والعلم....فلم يفرض على الناس معتقدات من غير دليل ولم يستعن على اقناعهم احكامه بخوارق العادات .

وجميع الاديان قررت وجوب الايمان بالجنة والنار ولا يتصور دين صحيح دون الاعتقاد بهما.

وقد تقبل الانسان في العصور الخالية قبل تقدم العلم ما وصفت به الجنة والنار..فلما برز العلم اخذ الانسان يطالب بالدليل للاطمئنان فأحس أهل الدين من رؤساء الكنائس من الاديان السابقة بشيء من القلق وأخذوا يضطهدون أهل العلم فنشأ خلاف شديد بين أهل الدين وأهل العلم دام قرونًا.

قال اهل الدين ان العلم والدين مختلفان وان اجتماعا في قلب انسان فبينهما حاجز, لكن هذا القول لم يقوى على صدّ تقدم العقل والعلم وعمت بعدها روح التسامح ففتحت عقول الناس واطلقت سنتهم بالجهر بالحق الذي كان مطموراً في صدورهم وازدروا الباطل الذي لبث زماناً يسيطر على ضمائر الناس بأسم الدين.

لذلك كان من حكمة الله تعالى ورحمته ان ارسل محمداً لينقذ النفوس من سلطان الباطل(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) .

جاء الاسلام فأحدث انقلاباً في العلوم والمعارف وبشهادة التاريخ المسلمون هم طلائع الرقي العلمي الحديث , لان القرآن سلك في التدليل على صلاحية ما جاء فيه لكل زمان ومكان وعلى ما يرتضيه العقل السليم وجعل العاملين بالطبيعة والفلك يقتنعون بوجود الخالق الاول القديم الباقي.

أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبئتنا به حدائق (ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها)إله مع الله بل هم قوم يعدلون (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين رحمة إله مع الله تعالى الله عما يشركون).

(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض إليه مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

إذا كانت وظيفة الدين هي اعلام الانسان بألله وهدايته الى تفهم السنن الكونية والتمشي معها فأسمى وظيفة لمن نزل عليه الدين ان يشرح الحقائق التي تضمنتها ذلك الدين بطريق يفقهها الناس على اختلاف ضروبهم واستعدادهم وإلا تخبّطوا وضلوا وفشا فيهم الالحاد والمروق من الدين.

نبوته ورسالته :

لما قربت بعثة رسول الله ونبوته أنتشر في الأمم ان الله تعالى سيبعث نبياً في هذا الزمان وان ظهوره قد قرب وأن. فكانت كل أمة لها كتاب تعرف ذلك من كتابها والتي لا كتاب لها ترى من الايات المنذرة ما تستدل عليه بعقليتها وبواسطة ما يسمعون من الكهان والاحبار والرهبان.

كل ذلك ورسول الله(ص) غير عالم انه المراد بالنبوة حتى نودي بها... ثم فوجئ بها... فكان بهذا أبعد من الشبهة... وأسلم من الظنّة عن التهمة... وكان برهانه أظهر.. وحججه أقهـر... وكان(ص) متميزاً عن قومه وعشرائه بشرف أخلاقه وكرم طباعه ..

لم يعبد معهم صنماً.

ولا عظم وثناً.

كان موحداً لله... منصفاً... أميناً..

لما دنا وقت النبوة حبب اليه الخلاء ليكون متهيئاً لما قدر له ومتأهباً لما أريد به.

فكان يختلي في غار حراء شهراً في السنة متعبداً.. يأتي معه بطعامه وشرابه فيأكل منه ويطعم المساكين وهو غير عالم بأنه نبي آخر الزمان.... وأهل الكتاب يترصدون مبعثه.

لم يزل (ص) على خلوته الى أن أظهر الله له امارات نبوته فبشّره بها بعد أن تأهب لها واستعدّ لتحمل أثقالها.

ثم تتابعت الرؤيا الصادقة في منامه (ص) بما سيؤول اليه أمره .

روى الزهري عن عروة عن السيدة عائشة ام المؤمنين رض الله عنها انها قالت(اوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح....

ثم لبث ثلاث سنين يسمع حسّ الملك ولا يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه بالقرآن فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة غير مبعوث الى الامة .

حكمة ذلك .. امداد الرسول بالمعونة الالهية كي يتحمل الوحي وأعباءه فيكون أصبر على البلوى وللنعمة أشكر.. ثم نزل عليه جبريل بوحي ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته.. فاخبره أنه نبي الله ورسوله... ولم يأمره بالانذار لتكون نفسه بنبوته أوثق... وعلمه برسالته أصدق... فلا يخالجه ريب . ثم أمره الله بالانذار فصار به رسولاً ونزل عليه القرآن بالامر والنهي فأصبح بذلك مبعوثاً...

محمد أوفى الانبياء :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الناس مفطورين على طبائع حسنة تعينهم على انتظام احوالهم.. وعلى طبائع تخالفها ليتسابقوا في عمران هذا الكون.

وأضفى الله تعالى للرسول قاطبة الصفات الكاملة.. الصدق.. الامانة.. النزاهة.. والتزام الحق في جميع احوالهم.... وتجانبهم عما لا يليق بمنصب رسالتهم ومقام نبوتهم من الوقوع في المعاصي.... فهم اكمل الخلق وصفوة الناس.

ان العالم لم يخل من دين منذ الخليقة.. وكان التنزيل في كل عصر مسائراً لما وصل اليه الانسان من الرقي العقلي والخلقي.

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر الحكيم أماط اللثام عن اغراض.. اسمى.. ومقاصد أنبل وأرقى.. وبين ان مقاصد الدين انهاض الانسان وتنمية ملكاته ليبلغ ماأعده الله له من التقدم والرقي.

الانسان يمتلك ملكات كامنة.. الله تعالى يريد اخراجها الى عالم الوجود..... لاستبطن ما في الكون من آيات وعبر ينتفع بها الخلائق في معاشهم.

الانسان فيه ميول هي في أصلها أشبه بالميول الحيوانية.. ووجرت سنة الله أن يخرج الوسيم من الذميم.. والملح من القبيح.. وكذلك جعل هذه الميول الحيوانية بذوراً تثمر اشجارها الحضارة والمدنية

فأرسل رسول الله ليكشف عن الاسرار التي انطوى عليها الانسان وليبين كيف يرقى من رتبة الحيوان الى مرتبة الملائكة .

ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يسلك مسلك من سبقوه من المصلحين.. في الاقتصار على النصح والموعظة الحسنة والصوم والصلاة والادعية والقرابين بل جمع الى ذلك.. مسلك العلم ودخل الى خلاياه الدماغية ضمن العقل الانساني.

ووضع للغرائز الحيوانية نظاماً يكفل الهيمنة عليها وتوجيهها لمنفعة الانسان .

الغريزة ينشأ عنها قوتان. القوة الغضبية. والقوة الشهوية.. ولهايتين القوتين مسالك
منوعة فمنها الجيد ومنها الرديئ ومنها المحمود ومنها المذموم ..

فان كانت القوة الغضبية في صورتها المذمومة..... نشأ عنها

الحقد..والعداوة..والاستبدادية..والغيبة..والجبن..والنفاق.

وان كانت في صورتها المحمودة....نشأت عنها الشجاعة والاقدام وعلو النفس
والصبر والمثابرة..والتسامح..والوداعة..والحلم..والتواضع ..

وان كانت القوة الشهوية في صورتها المحمودة نشأ عنها
..الحب..والوفاء..الرحمة..والكرم..الرضا والايثار..والثقة..والاعتماد على الله.

وان كانت في صورتها المذمومة ..نشأ عنها ..ضعة النفس والشح
..والشره..والعجب..والحسد..والخيانة.....

ما يمتلكه الانسان من ملكات عقلية وخلقية قائمة على الفهم والتفكير.. وسيلته في
ذلك الدين الصحيح يكون قد ارتقى من عالم الى عالم.

لقد اكتفى الانسان من المظاهر البراقة التي لايدعمها دليل ولا برهان وليس من
المعقول ان يتحول (الخسيس رفيعاً بسحر زائف)..اذاً فلا بد من طريق للخلاص..
وطريق الكمال يحتاج لجهاد وعمل متواصلمن اجل ذلك جاء سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم بشريعة رفع بها الانسان من حيوانيته الى عالم العقل والايمان.

وهدى الناس الى استخراج الفضائل والتخلق باخلاق الله تعالى.

ومما لاشك فيه ان التخلق باخلاق الله تعالى يستدعي المجاهدة العظيمة للنفس وحملها
على الاشد ليتصف الانسان بصفات الله تعالى من ..حلم ..وكرم..
وسخاء..ورحمة...وقوة...وعدل..

وليست هي كل ماالله تعالى من اخلاق وصفات بل هي التي يستطيع الانسان ان يجاهد
في سبيلها كي يتصف بها.

ومن هذا يتجلى ان محمداً صلى الله عليه وسلم جاء للعالم بما قرب لهم فهم الالوهية
واوضح لهم ان الله هو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.... الذي خلق
الخالق وادعها اسرارها وكفل لها اقواتها بما يجعلها تبلغ كمالها بعد ان تجتاز
اطواراً لا بد منها في سبيل التدرج والارتقاء.

ولان رحمته سبقت غضبه ان شاء عذبهم وان شاء عفا عنهم... وحين نتأمل هذه الصفات الالهية تتكشف لنا مظاهرها في كل ذرة من ذرات هذا الكون في خلقها... ونموها... وتدرجها....

ومن اجل ذلك فان المادية في الغرب حكمت على خلوه من كل فائدة لان ما جاءهم من دينهم لم يكن مشفوعاً بالدليل المنطقي بل اوامر تعبدية لا قبل لهم بفهمها .

ان العناية الالهية شاءت أن يكون العالم كامناً في طيات الزمن لينقص من اطراف الأحادالذي طغى على العالم الغربي.

ان العلم قبل منهج القرآن وكان القرآن اسبق الى الادلة التي جاء بها العلم.

العلماء يقولون ان الدليل على وجود الاله ثلاثة .

- كل شئ في الكائنات بتدبير.

- ان كل شئ خلق لغرض معين .

- الموجودات متساندة يتم بعضها بعضاً .

ولتحقيق السنة الالهية الشاملة التي تدخل كل شئ في الخليقة تحت قاعدة واحدة وضابط معين. يقرر اهل العلم ان هذا الدليل صحيح.

وأن القرآن قد أجمل هذه الامور الثلاثة في هذه الآية((ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها ويث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)).

هذه الآية تشير الى ان كل شئ بتدبير...تعاقب الليل والنهار تحدث التغيرات الجوية وتحدث الرياح وينشأ عن ذلك المطر والجفاف....معنى هذا ان حياة الكائنات وموتها مرتبطان بسير الارض في مدارها ..هل هذا كله محض صدفة ؟.

وجب على أهل الأنصاف أن يقرروا أن القرآن من عند الله فقد كشف هذه الأسرار في وقت عمّت فيه الجهالة وطمت الخرافات عقولهم .

يقول الله تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه).

ان ماكشفه العقل الأنساني الى الآن قد صح بطريق البرهان وأن الله خلق كل شئ لغرض معين وبالتالي كل موجود في الكائنات خلقه الله تعالى لمنفعتنا ومسخر لنا بأمر الله تعالى(الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به

من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه) فكيف يقال أن هذا العالم باطل لا قصد فيه .!

لو أعملوا فكرهم وأجادوا نظرهم فيما تسمع آذانهم وترى أبصارهم من عجائب خلق الله لوجدوا في أقرب ما يرون بأعينهم تركيب خلقهم ما يدلهم على توحيد ربهم وكيف نقلها الله من طورٍ الى طورٍ. كانت سلالة من طين ثم أنتقلت نطفة من ماء مهين ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم كساها الله تعالى لحماً ثم نفخ فيه روحاً فاذا هو خلق آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

نبوته ورسالته :

لم يؤمر بالجهر وبعموم الأنداز بل أمر بأنداز خاص سراً فصار ينذر من آمن به ويتقوى بمن أجابه وبذلك تمت نبوته بالوحي والانداز.

ثم أمر صلى الله عليه وسلم بأن يعم بالانداز بعد خصوصه ويجهر بالدعاء الى الاسلام... فجهر بالدعوة وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه.

لكن رد قريش له كان قاسياً..ردوا عليه مستهزئين ..وهو المعروف بينهم بالصادق..ردوا عليه بعنفوان الجاهلية وحمقها دون ان يكلفوا انفسهم عناء التفكير بما يدعوهم له هذا النبي العظيم وهم اهله وعشيرته والاقربون فخالفوه وعادوه..حتى ذكر الهتهم وعابها وسفه أحلامهم في عبادتها...الا من عصمه الله تعالى منهم بالاسلام وقام وجاهر بأندازه وجاهد في الله حق جهاده حتى غلب قريشاً حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه...الى أن علت كلمته وظهرت دعوته ولاقى من الشدائد ما لا يثبت عليه إلا معصوم.

وشرعت مدة اقامته بمكة..الطهارة..والصلاة..وعلمه جبريل عليه السلام الوضوء والصلاة وكانت فرضاً عليه وسنة على امته وصار يصلي ركعتين صباحاً وركعتين مساءً الى أن فرضت الصلوات الخمس بعد الاسراء والمعراج وذلك في السنة التاسعة من نبوته فصارت الصلوات الخمس فرضاً عليه وعلى امته..ولم يفرض ما سواها من العبادات حتى هاجر الى المدينة.

في المدينة فرض صوم رمضان..وحولت القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة..وفرضت زكاة الفطر..وشرعت فيها صلاة العيد..وزكاة الاموال..ثم فرض الحج والعمرة.

وفصلت في المدينة تفصيلاً تاماً..وفرعت فروعها..فكان بمكة مسالماً وبالمدينة محارباً..وكانت الحكمة موافقة لأفعاله واقواله..وبدأت تظهر آثار حكمته في صحة حزمه وصدق عزمه صلى الله عليه وسلم...كيف لا..وقد جمع الله في نفس رسوله كل

خصال الخير من الحلم.. والصبر.. والمروءة.. والشكر.. والعدل.. والنزاهة..
والتواضع.. والشجاعة.. والجدود.. والرحمة.. فكانت دليل قاطع على صدق نبوته
وحجة دامغة على صحة رسالته .

اهتمامه(ص) بأمته :

اهتم نبي الله بدعوة الناس الى مايسعدهم في دينهم ودنياهم حتى قال تعالى(فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات) واشتد حرصه على هدايتهم الى مكارم الاخلاق واحكام
الشريعة الفاضلة ولا يعقل في نظر اهل العلم والمنطق ان النفس التي تكاد تهلك على
اسعاد غيرها تكون نفساً كاذبة بل لا بد ان تكون متعلقة بالاعلا راسخة في صفات
الكمال والرفعة والجلال.

لما شج وجهه الشريف في غزوة احد وكسرت رباعيته وحل به ما يذهب بلب الحلم
ورشد الحكيم لم يزد ان اعتذر لهم مما فعلوا فقال(اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون)

ولهذا قال تعالى في حقه(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين روءف رحيم)

يقول (ص)(الا أخبركم بشر عباد الله الفظ المستكبر الا اخبركم بخير عباد الله
الضعيف المستضعف ذو الطمرين لا يؤبه له لو اقسام على الله لأبره).

ان هذه الاخلاق من الله فمن اراد الله به خيراً منحه خلقاً حسناً ومن اراد به سوءاً
منحه خلقاً سيئاً ومثل هذا لا يصدر الا عن نفس قدسية وروح ملكوتية قد تخلصت
من قيود الاهواء وتحررت من عبودية الشهوة والشهرة واستمدت من الله الهداية وقد
اجتمع كل ذلك في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

اخذ قومه بالموعظة الحسنة والمجادلة الشريفة حتى اظهر الحق بأقواله واعماله الى
اليوم.

يقول وليم سير في كتابه سيرة محمد(ص) : امتاز محمد(ص) بوضوح كلامه ويسر
دينه وأنه اتم من الاعمال ما يدهش الالباب فلم يشهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس
وأحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد(ص).

يقول (ص)لفاطمة(رض)(يافاطمة اعلمي فاني لا اغني عنك من الله شيئاً)

وفي موضع اخر يطلب منه حبه اسامة بن زيد في امرأة مخزومية سرقت فيقول
له...اتكلمني في حد من حدود الله.. وخطب فقال(ص)

انما هلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

المستهزؤن به(صلى الله عليه وسلم)

كان النبي (ص) يطوف على الناس في اول امره في منازلهم يقول " ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً " .. وأبو لهب ورائه يتبعه إذا مشى يقول....ياأيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين ابائكم وذلك عار عليكم.

من نظر الى هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريبه كان اسهل لان العرب كانت تقول " قوم الرجل أعلم به " .

ولذا قال (ص) " ما وذي أحد مثل ما أوذيت "

رموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع ذلك في القرآن.

وبعد ان كثر وكبر غيهم وتمادوا في اذية حبيب الله (ص) فقد توعدهم الله تعالى((ان كفيناك المستهزئين)).

وكان اكثرهم استهزاءً برسول الله (ص)..

1- الوليد بن المغيرة... وهو رئيسهم .

2- العاص بن وائل السهمي.

3- الحارث بن قيس بن عدي السهمي.

4- الاسود بن عبد يغوث بن وهب.

5- الاسود بن المطلب بن عبد العزى .

هؤلاء الخمسة هلكو بيوم واحد وهم المرادون بالاية الشريفة ((انا كفيناك المستهزئين)) .

اتى جبريل عليه السلام النبي وهو(ص)يطوف بالببيت وقال له أمرت ان اكفيكمهم....

فمر الوليد وجبريل يسأل... والرسول يجيب.. فأومئ جبريل الى ساق الوليد فأصيب في عقبه فمرض ومات كافراً.

ومر العاص بن وائل وجبريل يسأل.. والرسول يجيب.. فيومي جبريل الى أخصم قدم العاص فتصاب قدمه فتنتفخ رجله حتى صارت كالرحى ومات كافراً

ومر الحارث بن قيس وجبريل يسأل.. والرسول يجيب... فأشار جبريل الى بطنه
فمرض بمرض الاستسقاء فمات كافراً.

ومر الاسود.. ويسأل.. ويجيب فيشير الى رأسه فيصاب بقروح ويموت كافراً.

ومر الاسود بن المطلب بن عبد العزى.. ويسأل... ويجيب فيشير الى عينيه فعمي
بصره فكان يقول دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له ومات كافراً.

ومن يزيد عليهم__ عقبة بن ابي معيط" قتل صبراً بعد انصراف النبي (ص) من
غزوة بدر.

ابو جهل .. قتل في بدر قتله معاذ ومعوذ حين سألا عبد الرحمن بن عوف (رض) ارنا
أبا جهل الذي كان يؤذي رسول الله.. فضربه معاذ ضربة قطعت بها نصف ساقه.. ثم
مر معوذ بأبي جهل فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق ملقى على الارض فرآه
عبالله بن مسعود (رض) فوضع رجله على عنقه وقال له هل أخزاك الله يا عدو الله ثم
أحتز رأسه وجاء به الى رسول الله (ص). ولقد سماه رسول الله (ص) فرعون هذه
الامة حينما رأى رأسه وقال الحمد لله الذي اخذلك يا عدو الله .

هكذا تربينا في مدرسة محمد (ص) :

ان الانسان احد مخلوقات الله الكثيرة في هذا الكون وهو يشترك معها جميعها في ان
الله ربها وخالقها، لننظر الى قول الله تعالى ((وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه الا أمم أمثالكم)) فان تميزنا عنها بالعقل والمعرفة فاننا نشترك معها فيما عدا
ذلك من الخصائص والطباع .

ومن هنا جاء الحث على الرفق بالحيوان بما يقف المنصف أمامه حائراً من عظمة
هذا الخلق الانساني العظيم، فلا يجوز ايذاء الحيوان غير المؤذي ولا منع الشراب
والطعام عنه حتى يموت جوعاً والحديث عن رسول الله (ص) "دخلت امرأة النار في
هرة حبستها فلا هي اطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض"

واخبرنا رسول الله (ص) ان رجلاً رأى كلباً يلهث فيأكل الثرى من شدة العطش
فجعل يغرف له بخفه من بئر قريب منه حتى روي وقال (ص) "فشكر الله له فغفر له
فأدخله الجنة" فعجب بعض الصحابة من ذلك فقالوا يارسول الله: أو ان لنا في البهائم

لأجرا فقال لهم عليه الصلاة والسلام: في كل كبد رطبة أجر أي في الاحسان الى كل ذي روح أجر.

وقال الفقهاء: لايجوز لمن عنده بقرة أو شاة ولها ولد في طور الرضاعة أن يبيع حليبها حتى يشبع ولدها منه وإذا لم يكف حليبها لاشباعها كان على المالك أن يشتري له حليباً يكفي حاجته من الغذاء.

الا ترون ان حقوق الحيوان في الاسلام أوسع وأسمى من حقوق الانسان في حضارتهم ؟ والامثلة كثيرة .

ومثال آخر على تربيته(ص) لنا في حروبه ومعاركه فقد حرم قتل كل من لم يحارب من الاعداء كالشيوخ والنساء والاطفال والرهبان , ولقد كانت اخلاق المسلمين في الفتوحات الاسلامية الاولى مذهلة للامم التي حاربوها مما حمل كثيراً من ابنائها على الرغبة في الصلح دون المحاربة وعلى الدخول في الاسلام .

في حروب العراق وبعد ان استسلمت احدى المدن وتم الاتفاق على الصلح جاء المستسلمون للقائد الاسلامي ابي عبيدة مسعود الثقفي بمائدة عامرة بأطيب الطعام فسألهم: اكل الجند يأكلون من مثل هذا قالوا: لا وانما هو طعام صنعناه للأمير خاصة, فقال لهم ردوه, لا والله لا أكل الا مما يأكل منه الجند ببئس المرء ابو عبيدة ان صحب قوما أراقوا في سبيل الله دمائهم ثم يميز عليهم بغرض من الدنيا .

ولما فتح المسلمون دمشق وحمص وغيرها وأخذوا من أهلها أموالاً حسب اتفاقية الصلح ثم اضطروا الى التراجع..جمع كل قائد اهل البلد التي تم الصلح فيها وقالوا لهم:لقد كنا اخذنا اموالاً لحمايتكم والدفاع عنكم وقضاء مصالحكم أما وقد اضطررنا الى الانسحاب من بلدكم فهذه اموالكم اليكم لعجزنا عن تحقيق ما اخذنا من اجله اموالكم, فقال أهل كل بلد ردكم الله الينا سالمين والله لو كان الروم مكانكم لما ردوا الينا شيئاً اخذوه بل لأخذوا معهم من اموالنا كل شئ يستطيعون أخذه .

والله لعد لكم وحكمكم أحب الينا من حكم الروم وعسفهم .

قارن ياسيدي القارئ بين تربيتنا وتربيتهم وفتحنا وفتحهم ؟ ان انسانية الاسلام في الحرب تفوق انسانية هؤلاء المتحضرين في ايام السلم.

فلا تعجبون بعد ذلك إذا انتصرت جيوش الاسلام لان الشعوب رأَت من تربيتها وأخلاقها ما لم تجده في دين ولم تقرأه في تاريخ .

ان صفحات ابائنا في حروبهم كافية وحدها لأن تملأ نفوسنا اعتزازاً بتراتهم وفخراً بفتوحاتهم فكيف إذا أضيفت الى صفحات حروبهم صفحات وصفحات.

في السنة الرابعة والعشرين من النبوة والحادية عشر من الهجرة مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي.